حكايات فتيات يقعن في فخ "الزواج المزيف"!

بعد تجارة الأعضاء... شبكات شراكة مع خليجيين لتهريب نساء عراقيات

تعيش "جميلة"، وهي فتاة عراقية في عقدها الثاني، مع عائلتها في سوريا منذ خمس سنوات. اكملت دراستها الاعدادية هذا العام. تتمتع بجمال وجسم رشيق وبياض ناصع. تقدم لخطبتها شاب عراقي يعمل في احدى الوزرات كما يقول! بصحبة عائلته المقيمة في سوريا وتحديدا في منطقة "جرمانة" منذ سنوات عدة. عائلته المتكونة من والدته وثلاث فتيات وامرأتين يقال انهما من أقربائه، تقيم في العمارة نفسها، حيث عائلة العروس. منذ اشهر قليلة كانت المعلومات المتوفرة عن العائلة شحيحة، لكن الخطوبة تمت واخبر الخطيب ان الزواج سيتم في الشهر السابع، اي بعد شهر من اعلان الخطوبة وابرام عقد الزواج.

الخطيب عاد الى بغداد وانقطع عن الاتصال اسبوعين عن العروس وكلما سألت عائلة الفتاة عن سبب الانقطاع تتعذر عائلة الخطيب بانه مشغول بتجهيزات العرس وما ان مر الاسبوع الثالث حتى وصل العريس الى سوريا طالبا من العروس اللقاء بها لأمر ضروري جدا.

□ أعد الملف / إيناس طارق – وائل نعمة

همت جميلة بتغيير ملابسها وجاء الخطيب لإصطحابها من امام باب شقتهم،و اخبرها انه لا يستطيع اكمال تجهيز البيت الا بمساعدتها، سألته كيف ذلك؟ قال: ان تقضي ليلة كاملة بصحبة رجل يملك مالا كثيراً ويريد ان تكون الفتاة عذراء وسوف يدفع مقابل ليلتها ٥٠٠٠ آلاف دولار، واذا لم توافق سوف يتركها وعلى عائلتها ان تدفع له ١٠٠٠ دولار حتى يطلقها او يبقيها هكذا ويجعلها ترى نجوم الظهر ويتهمها بالخيانة وغير ذلك من التهم . هذا الكلام اصاب الفتاة بصدمة كبيرة، مع ذلك تصرفت بحكمة وعقل فعادت جميلة الى عائلتها لتخبرهم بما سمعت، فصعقت الام وذهبت الى والدته التي كانت تتكلم معها ببرودة الاعصاب قائلة لها: ولماذا لا تنفذ ابنتك الطلب (قابل هي اول فتاة) وهو ضمان لمستقبلها!

خرجت ام العروس وجلست على سلم العمارة القديم واذا برجل عراقي كبير يخبرها بانهم ليسوا اول ضحية لهؤلاء فهذه تجارة تمارسها العائلة بصحبة اولادها الثلاثة المقيمين في العراق . معاتباً كم نصحناكم بان لا تستعجلوا بالموافقة لكن والدة جميلة لم تسمع.

والدة جميلة اتصلت بأشخاص عديدين في العراق ونحن من بينهم لانقاذ ابنتها لكن العريس مصمم اما ان يجني من ورائها ٥٠٠٠ دولار او ١٠٠٠ دولار. . وقد حاولنا بدورنا التكلم مع العريس لانهاء الموضوع بالطرق السلمية، لكن من دون نتيجة تذكر.

في النهاية فشلت كل محاولات المساعدة، حتى ان عدداً من الذين تم الاتصال بهم، واغلبهم ضباط في وزارة الداخلية، تعذر عليهم ردع العريس (النصاب)، وظهر الامر على انه جزء من تجارة خطرة بالجنس البشري.

من الزعفرانية الى دول الخليج

ليست هذه الحادثة الاولى، كما يبدوا، فقد كانت كانت حادثة اخرى قد جرت قبل اكثر من ثلاث سنوات ، حين تقدمت جارة "هدى " في منطقة الزعفرانية لخطبتها لابنها المقيم خارج البلد، والذي كان يأتي الى العراق بين فترة واخرى، حيث وافقت عائلتها بعد عرض إغراءات مالية كبيرة، وأحست حينها ان حلمها بالزواج من رجل غني قد تحقق اخيرا، وان بقية احلامها في طريقها الى التحقيق. كان شرط "العريس " ان يتم الزواج في الاردن ، وبعد مرور شهرين غادروا الى هناك ، وقبل وصولهما الى الحدود قال :اذا سألوك عن اسمك المكتوب بالجواز اجيبي بنعم ولاتسالي لماذا فقد غيرت اسمك، فانا افعل كل شيء من اجل اسعادك. لم تعترض، بل كانت سعيدة بالاسم الجديد لانه ينسيها اسمها القديم الذي لطالما كانت تكرهه ، وتتصبب عرقا حين كان احد ينادي به ، لاسيما حينما كانت تعمل خادمة في البيوت من اجل توفير لقمة عيش لاخوتها الخمسة، اضافة الى والدتها الارملة.

بعد وصولنا الى عمان استقبلتها والدته وشقيقته، استغربت في بادئ الامر وسألت زوجها كيف وصلنا الى هنا؟ اجابني مؤكدا: لقد اتفقنا على ان لا تسألي ابدا، وقد نبهك اول مرة عندما سألتي عن الرجل الذي وقف وتكلم معي في الحدود الاردنية . هذا الرجل كان يعرف زوجها جيدا وسمعته يقول له: البضاعة جيدة جدا هل هي خام؟ همس زوجها باذنه وقال له: ان الاسعار ارتفعت عن السابق! لم تتوقف كثيرا عما كانا يتحدثان به، فقد كانت السعادة طاغية على عقلها وقلبها وفرحها بلا حدود، بملابسها الجديدة التي تكسو جسدها الذي كان يتوق للبسها ولو مرة واحدة في العمر.

اعتذرت منه وقالت : لن اسأل مرة اخرى.. تكلمت والدته معها وقالت سوف تخرجين الليلة معنا لقضاء بعض الوقت. وفي الساعة السابعة مساء خرجت مع زوجها ولم تستطع ان تسأله اين والدته و شقيقته اللتان لم تأتيا معهما ؟ اصطحبها الى احد المطاعم "ملهى ليلي " ، واثناء جلوسها فكرت بان طوال الوقت الذي قضته معه في البيت لم يلمسها زوجها ولا تعلم السبب.

جلست على طاولة مستديرة التف حولها بعض الفتيات الصغيرات، يتكلمن اللهجة العراقية. طلبن منها ان تشاركهن الرقص فرفضت في البداية، ولكن إصرار زوجها على الرقص ومن ثم تناول الكحول جعلها تفقد توازنها. ولا تعلم ماذا حدث بعد ذلك.

وفي اليوم التالي وجدت نفسها نائمة في شقة اخرى غير شقة زوجها وبقربها رجل آخر. وهكذا بدأت الرحلة في ملهى "....." ، وأصبحت امرأة تمارس حياتها كيفما تشاء وتحت انظار زوجها.

وبعد مرور شهرين من البقاء في الاردن والاعتياد على الحياة هناك جاء زوجها، ، ليخبرها بان الوقت قد حان للذهاب الى دولة الإمارات للقاء بعض الأصدقاء، لم يفرق الامر عندها بعد الآن، سافرت الى دبي ونزلت في المطار، حيث استقبلتها مجموعة من الشباب كانت بصحبتهم فتاة عراقية صغيرة لا يتجاوز عمرها ١٦ عاما. قالت لها سوف تأتين معنا، اليوم اجازة، ولكن غدا تنزلين الى العمل. تكلمت الفتاة مع زوجها وقالت له: (هذه المرة ذوق جيد بدأت تتحسن بالعمل). كانت ترى وتسمع ، وهي ممددة فوق سريرها،غناء ورقص فتيات عراقيات صغيرات شربن الخمر وخدرن عنوة ليفقدن توازنهن، كل ليلة ولمدة أربعة اشهر،هي وبقية الفتيات على هذه الحالة،يصطحبوننا ليلا الى احدى الفيلات، ويأخذوننا في النهار منهكات القوى والروح، وكأنهن جثث هامدة . وفي احدى الليالي رفضت مشاركة احد الرجال الكبار في العمر مشاركته السرير ،وكان يتكلم اللهجة الخليجية ،وماكان منه الا ان بدأ يضربها بعصاته وجعل الدماء تسيل من جسدها وكانت تصرخ ولا ينقذها احد.

هذا الحادث بسيط لما يحدث للفتيات الأخريات كما تقول "هدى " ، مضيفة : عندما بدأت ارفض الخروج لممارسة البغاء، وإصراري على العودة الى العراق،تعرضت الى الاهانة والمذلة بشتى الوسائل من قبل زوجي ! وفي صباح احدى الايام قال زوجي : سوف تعودين اليوم الى مطار بغداد على متن طائرة، وعندما تصلين الى مطار بغداد سوف تجدين من يستقبلك ويوصلك الى بيت عائلتك. وما ان حطت الطائرة في مطار بغداد حتى جاء رجال الأمن والقوا القبض عليها بتهمة تزوير جواز سفر، وقد دار هذا الحديث معها في احد سجون العاصمة .

ليس هذا الحادث هو الوحيد الذي شاهدناه في السجن، انما توجد حالة اخرى مماثلة لفتاة تبلغ من العمر ١٧ عاما تزوجت بالطريقة ذاتها وسافرت الى سوريا، ومن ثم الى دبي وألقي القبض عليها عند العودة في مطار بغداد وبالتهمة نفسها (تزوير جواز سفر)، بعد تسلم بلاغ من شخص (فاعل خير)، يتصل بقوات الامن العراقية ويغلق الملف. وهناك الكثير من القصص عن عصابات تقوم بتجارة الرقيق الأبيض، تبدأ محطتها من بغداد وتنتهي في دبي مرورا بدمشق والاردن. ومازالت تلك التجارة رائجة من دون ايجاد حلول جذرية لها. والضحايا فتيات عراقيات صغيرات لا تتجاوز اعمارهن السابعة عشرة، فهذه الاعمار تدفع فيها مبالغ كبيرة، وتعد صفقة رابحة بالنسبة لمافيات تجارة الرقيق، واكثر الزبائن كرما هم من الخليج، والكلام هنا منسوب الى الفتيات اللواتي تعرضن الى المتاجرة بأجسادهن.

حكاية "عفيفة"

اما حكاية " عفيفة " -كما ترغب ان يطلق عليها لاخفاء حقيقتها فهي – مختلفة بعض الشيء، فقد هربت من بيت العائلة في محافظة البصرة، بعد ان اقترضت مبلغا من المال من احدى الصديقات، لتصل الى بغداد. والسبب كان ضغط عائلتها بالزواج من رجل يكبرها بثلاثين عاما. وعندما وصلت الى العاصمة لن تجد ولم يكن احد من تلتجأ اليه فبدأت تتجول في الشوارع، على غير هدى، فهذه هي المرة الأولى التي تزور فيها بغداد بمفردها. وفي واثناء تجوالها، تعرفت على شاب يكبرها بسنوات عدة سألها من أين أنت وماذا تفعلين هنا؟ وعندما عرف بقصتها، أقنعها بالذهاب معه وقضاء الليلة الأولى في فندق يقع بمنطقة العلاوي، حيث استمرت معه على هذه الحالة لأسابيع عدة، حتى عرض عليها ، عرضا مغريا لايمكن ان ترفضه ، بان يقوم بتزويجها من شاب لا يكبرها غير سنتين ويأخذها الى احدى دول الجوار .

عفيفة كانت تعتقد بانها وجدت الحل ، وانها ستستقر ، لكنها تفاجأت بان الزوج قد باعها الى احد الاثرياء هناك ، ولم يكن منها الا ان ترفض ، ولكن رفضها لم يدم كثيراً وهي ضعيفة بهذه الحالة التي وضعت نفسها بها فاستسلمت اخيراً، بعد ان تعرضت للضرب والضغوط التي اجبرتها على اختيار مثل هذا الوضع المزري!

عمليات تهريب تجري تحت "العباءة"!

ويبدو ان السلطات على علم بما يجري حيث اخبرنا مصدر أمني من قوات الحدود العراقية رفض ذكر اسمه : إن عمليات التهريب تبدو الآن أكثر اتساعا من السابق ويجب الانتباه لها، لأن ضعاف النفوس بدأوا بالتعامل بأي شيء مهما كانت النتائج ، بعد ان كانت عمليات التهريب تنحصربالمخدرات، واتسعت لتشمل الأعضاء البشرية وحتى النساء.

ويوضح المصدر أن تهريب النساء يعد آخر ما توصلت إليه عمليات التهريب وقد يستغرب البعض عند سماع معلومة عن عمليات تهريب للنساء أو ما يسمى بـ (اللحم الأبيض) كما يتعرف عليها المهربون إلى بعض البلدان، مؤكدا ان هذه العمليات تدار من قبل شبكات غاية في التعقيد والسرية ويصعب التقرب منها، لأن لها اتصالات بجهات حكومية متنفذة.

وأضاف المصدر : بدأت أعمال أخرى تظهر على الساحة ، وهي تقوم بترغيب البنات وإيهامهن بالعمل في دول الخليج ، متعهدين بتوفير تأشيرة السفر وعقد العمل ، أو بطريقة اخرى وهي الزواج والسفر بهن إلى احدى الدول ، ليتم هناك الضغط عليهن في ديار الغربة وإجبارهن على الانصياع لغاياتهم الدنيئة ، وهذا ما حدث مع الكثير من الفتيات العراقيات".

من جانب آخر اكدت مصادر امنية اخرى موثوقة صرحت لـ(المدى) ان هناك الكثير من العوائل العراقية جعلت بناتها طعماً سهلاً لكثير من تجار الرقيق الابيض وكل يوم يتم اخبار السفارات العراقية في دول الجوارعن القاء القبض على عدد من الفتيات مقبوض عليهن بتهمة ممارسة البغاء او مرميات على الارصفة بعد ان أغمي عليهن من شدة تناول المشروبات الروحية وممارسة البغاء ! موضحا " نحن نمسك دائما بخيوط شبكات هؤلاء النصابين وعندما نطلب من العوائل التعرف عليهم والشهادة ضدهم ترفض العائلة خوفا من الفضيحة وهذا الامر شجع هؤلاء النصابين على استخدام عوائلهم او حتى الاتفاق مع بعض العوائل "الرخيصة" لتقوم بالتمثيل امام اهالي الفتيات بانهم ذويهم ليتموا الزواج مقابل الحصول على المال، لذلك هذه الفئة وجدت ضالّتها في دول عدة من بينها الأردن وسورية وتركيا ومصر وبعض دول الخليج.

فيما قالت ينار محمد رئيسة منظمة حرية النساء في العراق: منذ عام ٢٠٠٨ توصلنا إلى بعض الأماكن التي تشهد تجارة بالفتيات الصغيرات، وتصل الأسعار إلى ما نسميه "الدفتر" (١٠ آلاف الى ٢٠ ألف دولار).

وأشارت الناشطة العراقية إلى وجود ٣ أنواع من "اسواق النخاسة"، موضحة: السوق المحلية تبتلع ٨٠ ٪ من النساء في هذا المجال و١٥ ٪ يتم تهريبهم إلى سوريا، ولكن هناك سوقاً نشطاً وأغلى ثمنا واكثر رواجا وهو الخليج حيث يوجد طلب عال على البنات الصغيرات اللاتي تتراوح أعمارهن بين ١١ إلى ١٦ سنة، ويجب أن يكون معها محرم، موضحة هناك شبكات تسعى لتزويجها زواجا شرعيا لشخص ما، يسفّرها خارجا ويتم تكبير عمرها في الوثائق الرسمية، وبعد الوصول تبقى مع الشخص الذي اشتراها سنة ثم يرميها في سوق النخاسة!.

فيما اكدت الحكومة وعلى لسان الناطق باسمها علي الدباغ بأن الظاهرة لم تنتشر كثيرا ولا نستطيع ان اقول بانها زادت كأننا نعاني منها سابقا، مشددا على ان المنظمات لم تستطع ان ترصد الظاهرة وتوفر معلومات لكن لهذه المنظمات حرية ان تكتب مايجري في العراق، مؤكدا في الوقت نفسه بانها جريمة بشعة .

■ ضحايا: خدعتنا إغراءات عروض الزواج

■ مصادر أمنية : شبكات تهريب النساء معقدة ومرتبطة بجهات متنفذة

تقارير دولية: عدم وجود القوانين وسهولة التنقل بين العراق ودول الجوار ساعدت على اتساع ظاهرة تجارة الرقيق الأبيض

تقرير الأمم المتحدة : خداع الفتيات العراقيات يجري تحت ستار تأمين وظائف

قدم تقرير للشبكة الاتحادية الإقليمية للأنباء (ايرين) وهي شبكة تابعة بشكل شبه رسمي لمنظمة الأمم المتحدة ، ملخص عن تجارة الرقيق الابيض والوضع الحالي لآلاف الفتيات العراقيات، حيث بين انه يتم تهريب الفتيات العراقيات ، تحت ستار تأمين وظائف في المنازل ، إلى دول الخليج الثرية ويتم إجبارهن على بيع أجسادهن في الفنادق والملاهي، كما اوضح التقريران حركة تهريب آلاف الفتيات العراقيات ، بينهن ثلاثة آلاف وخمسمئة فتاة سجلوا كمفقودات في العراق ويشتبه أنهن يخضعن لعبودية جنسية في أماكن مختلفة من الشرق الأوسط. وبحسب مصادر اعلامية ، تختلف الأسعار بحسب عمر الفتاة ، وما إذا كانت عذراء أم لا، ولا تخلو الممارسات الجنسية من الوحشية ، المترافقة مع العنف والمعاملة غير الإنسانية والأقرب إلى ما كان يعيشه العبيد في العصور الغابرة . وأضاف التقرير إن تحول سوريا إلى مقصد آخر لتهريب النساء العراقيات، بسبب قربها من العراق حيث يسهل بالتالي إدخال النساء إليها وإخراجهن منها. وبسبب سهولة التنقل بين سوريا والعراق ، يبقى الرقم الحقيقي للنساء العراقيات اللواتي يتم تهريبهن إلى سوريا غير معروف وبغياب القوانين الرادعة والملاجئ المخصصة لإيواء تلك النسوة في سوريا، فقد لا يعرف أبداً الحجم الحقيقي لتلك التجارة البائسة بأرواح وأجساد البشر.

ويشير التقرير الصادر عن الجمعية الأممية الى عدم وجود قانون صارم في العراق يعد هذه الجريمة كجريمة قتل بل هي عقوبة مخففة، وعدم وجود مسؤولين كفوئين لمحاربة الجريمة، كما ان الوضع الامني لايزال غير مستقر والقوات الامنية من الشرطة والجيش والمخابرات مشغلة بمحاربة الارهاب لم تأخذ الموضوع بجدية.. ويوضح التقرير أيضا ان مازاد في هذه الظاهرة ، هو قيام دول الخليج بالتشجيع على هذه التجارة واستغلال الأطفال للأغراض الجنسية . كما ان الارهاب يمارس هذه المهنة لانتهاك حرمة المرأة العراقية وتهديم المجتمع العراقي والحصول على موارد مالية لصالح تمويل العمليات الارهابية، فضلا عن الفقر والبطالة والحروب .

ولم يغفل التقريرانتشار الفساد المالي والاداري في العراق الذي جعل من رواد هذه التجارة ان يمتهنوا اساليب الرشوة للمسؤولين سواء داخل مؤسسات الدولة او المؤسسات الحدودية في البر والبحر والجو، كذلك ان ارباح هذه التجارة اكثر من أرباح الاتجار بالمخدرات والسلاح وأقل خطورة. والانسان في هذه الدول أرخص رأس مال، كما ان للمافية خبرة ممتازة للتعامل مع الضحية بأسلوب لعوب يخدع الضحية قبل كشف الحقيق لم تكشف الحقيقة الا بعد وقوع الجريمة وتتحول الضحية الى عبد دون ان يعرف بعد فات الاوان، مشددا على العمالة المستوردة بأيدي رخيصة وفقدان دور النقابات المهنية وضعف مراقبة او قلة خبرة مؤسسات المجتمع المدني في العراق للدفاع عن هذه الظاهرة الوحشية زادت من تفاقمها .

وكان قد صدر تقرير اخر في وقت سابق ان مجلة (تايم) الأمريكية، فتحدث عن "جريمة صامتة تحصل في العراق"، قائلة إن أمهات يبعن بناتهن لبيوت دعارة ومنظمات للمتاجرة بهن، وهن في سن صغيرة، معتقدات أن وصول البنت إلى سن العشرين سوف يخفض من سعرها.

وأشارت إلى أن سعر الفتيات الصغيرات بين ١١ و١٢ سنة وصل إلى ٣٠ ألف دولار وأما الأكبر سنا فينخفض سعرهن إلى ألفي دولار أمريكي.

وأما منظمات الاتجار بهذه الفتيات – وفق تقرير "تايم" الأمريكية- فتقوم بنقلهن إلى دول الجوار ودول الخليج، وذلك بشكل غير قانوني عبر جوازات سفر مزورة، أو تزويجهن بالقوة من رجال مجهولين سرعان ما يتم تطليقهن منهم فور وصولهن إلى البلد المطلوب.